المجلد:18 العدد: 01/ سبتمبر 2022
ص: 293 - 302
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

اللّسانيات العربيّة وموقعها ضمن الدّرس اللّساني الحديث
نظرة في الواقع والآفاق

Arabic linguistics and its position within the modern linguistic lesson

Look at reality and prospects

نورالدين فتح الله *[1]

[1] جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف (الجزائر)، Fethallah-noureddine@univ-eltarf.dz

تاريخ الإرسال: 2021/12/22	تاريخ القبول:2022/01/03	تاريخ النشر: 2022/09/18

****

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن اسهامات اللّسانيات العربية في تحديد معالم وإثراء الدّرس اللّساني اللّغوي الحديث والتقاطعات المشتركة بينهما, باعتبار اللّسانيات العربية لاقت الكثير من النقد في مختلف اتجاهاتها ونماذجها, حيث كانت هذه الانتقادات سارية دون النظر والبحث في الأسباب والظروف المصاحبة لهذا التأزم والصّراع الذي عاشته هذه الأخيرة, ودون النظر في كونها أحد الرّوافد الفاعلة والمهمة في حقل الدّراسات اللّغوية الحديثة في شكلها الحالي المتطور.

الكلمات المفتاحية: الدراسات اللّغوية؛ اللسانيات العربية ؛ اللسانيات الحديثة؛ الواقع؛ الآفاق

***ABSTRACT* :**

This study aims to reveal the contributions of Arab linguistics in defining the features and enriching the modern linguistic lesson and the common intersections between them, given that Arab linguistics has received a lot of criticism in its various directions and models, as these criticisms were valid without looking and researching the causes and circumstances accompanying this crisis and conflict that it experienced. The latter, and without considering that it is one of the active and important tributaries in the field of modern linguistic studies in its current developed form.

***Keywords*: language studies; Arabic Linguistics; ; modern linguistics; Reality; prospects.**

* نورالدين فتح الله

1. مقدمة:

باعتبار أنّ اللّسانيات تعتبر علما خاصّا بدراسة اللّسان البشري بجميع مناحيه وتمفصلاته, وما يعبّر به هذا اللّسان عن لغات مختلفة, فهي كعلم خاص مستقل تبحث في كل ما له علاقة باللّسان, وهي تحاول بذلك سبر أغواره وتحليل معطياته وآليات عمله واشتغاله, وهذا باستخدام معطيات ومنهج علمي في الوصف والبحث والتحليل للوصول إلى نتائج منطقية ودراسات علمية موضوعية.

وقد أشار بعض المهتمين بمجال اللّغويات والدّراسات اللّسانية إلى أنّ " فردنان دي سوسير" كان أوّل من تطرّق لموضوع اللّسانيات بالدراسة بشكل علمي, وكان منطلقه في ذلك من خلال محاضراته المندرجة ضمن اللّسانيات العامة, وقد وضّح من خلال تلك المحاضرات عديد النّقاط فيما يخصّ هذا العلم الناشئ من حيث الماهيّة والاهتمام ونطاق الدّراسة, وبذلك يكون "سوسير " من المبادرين الأوائل لإرساء معالم هذا العلم ورسم طريقه وغاياته وأهدافه العلمية المنشودة.

أمّا بالنسبة للدّراسات اللّغويّة العربية فنجد أنّ منطلقها الأساس كان من خلال عناية الدّارسين اللغويين العرب بالقرآن الكريم نظرا لقدسيّته ومكانته العالية الرّفيعة باعتباره كلام الله عزّ وجلّ, كذلك كان هذا الاهتمام راجعا للحرص على المحافظة على القرآن من أي زيف أو تحريف قد يطاله من طرف المتربصين شرّا به وبكلّ من آمن بما فيه, ومن هذا المنطلق انشغل العرب باللغة وكل ما يتعلّق بها شأنهم شأن غيرهم من الباحثين العجم المهتمين بهذا بكل ما يتعلق باللغة ونشأتها واستعمالها وأغراضها وكل ما يتعلّق بها.

وقد كان الدّرس اللّساني العربي رغم أصالته وجذوره التّاريخية الواضحة المعالم, وأعلامه البارزين الضّاربين بدراساتهم بعمق في تاريخ الدّراسات اللّغوية, إلّا أنّه لم يسلم من النقّد الذي طال مختلف مناحيه المتعلقة بجذوره ومدى أصالتها وكذلك النقد الموجه خصوصا إلى مناهج الدّراسات اللّسانية العربية واتّجاهاتها ونماذجها المختلفة, وقد كانت تلك الانتقادات في مجملها غير مؤسسة, بحكم أنّها لم تنظر في الأسباب و الظروف المصاحبة والأسباب الحقيقية وراء التأزّم الذي عاشه الدّرس اللّساني العربي مقارنة بنظيره من الدّراسات الحديثة الغربية التي أصبح لها الباع الطّويل والرّواج المنقطع النّظير, بمقابل اهمال ما قدّمته الجهود العربية لرسم معالم هذا العلم الحديث.

انطلاقا ممّا تقدّم سنحاول الكشف عن الدّور الحقيقي, واسهامات اللّسانيات العربية تاريخا وتأصيلا لرسم معالم الدرس اللّساني الحديث على ما هو عليه من تطوّر ورواج, وهذا من خلال عرض بعض ما أثرت به الدّراسات العربية اللّسانيات والدّارسات اللّغوية بشكل عام من خلال أعلامها وروّادها, فنحاول من خلال هذه الوريقات البحثية أن نجيب على عدّة إشكاليات جوهرية مفادها : ما موقع اللّسانيات العربية ضمن الدّراسات اللّسانية الحديثة؟ وماهي الآفاق المستقبلية للسانيات العربية في إطار الدّرس اللّساني الحديث؟ وما العوائق التي تعترضها في هذا الشأن؟ وقد اعتمدت

في ذلك المنهج الوصفي التّحليلي للوصول إلى النتائج, ومحاولة كشف الغطاء عن خلفيات التراجع والأفول الذي شاب هذه الأخيرة رغم أنها كانت رائدة, ولها وزنها ضمن الدّراسات والنّظريات المؤسّسة لهذا العلم.

2. نشأة اللّسانيات وأبعادها التاريخية والمعرفية :

كان الاهتمام باللّغة موجودا منذ القدم ويتجلى ذلك خصوصا في الكتب المقدسة, كذلك تعدد اللغات والترجمة في بلاط الفراعنة من خلال ما يظهر في النقوش والحفريات التي تركوها, وقد اهتم اليونانيون من خلال الفلاسفة والنحاة الميتافيزيقيين, كذلك ما نجده عند الهنود من خلال اللغة السنسكريتية , وهذا يعتبر كامتداد للنّحو حتى القرن الثّامن عشر وما جاء بعده, فهو يعتبر ككيان مستمر وسلسلة مكتملة الحلقات ولم يوجد من العدم[1]

شهدت أوروبا دراسات خاصة باللغة خلال القرون الوسطى ، لكن هذه الدراسات كانت معيارية لا تعترف إلا باللغة اللاتينية, لغة نحوٍ و فنٍ وعلمٍ, ثم بدأت الدراسات تنشط تدريجيا، خاصة بظهور الرَّحالة و المبشرين الذين أرادوا التعرف على اللغات الأجنبية ، لخدمة أغراضهم الاستكشافية و الدينية، فكانت البذرة الأولى للدّراسات المقارنة

و إذ نمعن النّظر في اللّسانيات البنيوية سنلاحظ أنها تمثل استمرارا للاتجاه الاستقلالي في الدرس اللساني, ولكنها في الوقت نفسه تمثل تحولا في مجموعة من المنطلقات النظرية فيه . ولعل تأكيدها على تساوي اللغات وعدم أفضلية واحدة على أخرى, وتأكيدها على تزامنية البحث اللساني يأتي على رأس هذه التحولات, ويمكن أن نعد ذلك ناتجا لسعي اللسانيات البنيوية في ترسيخ علمية هذا الحقل وتأكيد حدود موضوعه ثم وضع منطلقات نظرية له - وبهذا ينفصل ويبتعد عن غيره من التوجهات لدراسة اللغة التي لن تكون علمية – وفق هذه الاعتبارات – لأنها تقع خارج الحدود التي رسمت .

وقد اتخذت اللّسانيات البنيوية سندا فلسفيا لها في التجريبية أو إنها ناتج لتأثير التجريبية كتوجه فكري على حقل علمي كاللسانيات, بل لعلها وجدت هذا السّند في أشدّ صورتين للتجريبية – أقصد الإجرائية والظاهراتية الصّارمتين. ولعل هذا التلازم يتجلى بأوضح أشكاله في اللّسانيات البنيوية الأمريكية أكثر منه في أوربا, فقد رفضت اللّسانيات الأمريكية كل ما هو ليس ظاهرا وما ليس له وجود مادي في الكلام في تحليلاتها ومقولاتها وتنظيراتها .وقصرت البحث اللساني على استنباط إجراءات لتحليل المعطيات اللّغوية- أي المادّة اللّغوية - إلى أجزائها و مكوناتها, وما يتطلبه ذلك من وضع الوحدات التحليلية لكل مستوى من مستويات النظام اللغوي, " اللسانيات البنيوية نظرت إلى اللّغة كنظام بنيوي متماسك وجعلت موضوع دراستها وصيف هذا النظام والمبادئ التي تسمه وهي مبادئ ذاتية من النظام وليست مستقاة من حقول معرفية أخرى, وبهذا المعنى فإن اللّسانيات البنيوية تمثّل اتجاها لاستقلال الدّرس اللّساني"[2]

إنّ الفكر اللّغوي يشمل مجمل الأفكار والتّصورات التي تم انتاجها في مجال اللغة منذ أمد بعيد, في مختلف الثقافات واللغات, وبالتالي يمكننا القول أنّ اللسانيات لا تمثّل سوى جزءً خاصّاً من التّفكير.

بالعودة إلى اللّسانيات الحديثة يذهب "بلومفيلد" إلى القول:" إنّ الدراسة العلمية للغو لم تبدأ إلّا منذ القرن الماضي فقط عن طريق الملاحظة الواعية والواسعة وبالتّالي ليست اللسانيات سوى في بداياتها"[3], اذن فهو يرى بان ارهاصات اللسانيات وبداياتها الفعلية كانت خلال القرن التاسع عشر, تزامنا مع ظهور المنهج التّاريخي المقارن, ويلاحظ الدّارس اللّغوي اللّساني والمهتم بهذا الشأن أنّ رواد اللّسانيات الحديثة كان لهم موقف ايجابي تجاه الفكر والارث اللغوي القديم ولا يهملون دوره الفاعل رغم وجود بعض النقد والتحيز الواضح.

لم يكن سوسير مقتنعا بآراء روّاد المنهج التاريخي في دراسة اللغة خلال أواخر القرن التاسع عشر, وهذا بالرغم انه كان تلميذا لدى اللغويين التاريخيين, لكنه بالمقابل يدرج في محاضراته اعترافه بقيمة اللغويين القدامى, وبالتالي فهو يقرّ بأن اللسانيات عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من القديم إلى الحديث فهي بنيان يكمل بعضه بعضا, وقد أشار إلى ثلاث مراحل لغوية رئيسة هي الفيلولوجيا, النّحو والنّحو المقارن[4]

نظر دوسوسير إلى اللغة على أنّها معرفة مستقلة قابلة للدّراسة المنتظمة, باعتبارها جملة من الاحداث والوقائع المعقدة على عكس ما تظهر عليه في الواقع, ومن اهم المبادئ البنيوية التي قدّمها وكانت اساس إرساء قواعدها ما يلي :[5]

- اللّغة ظاهرة اجتماعية
- التّمييز بين اللسان والكلام, وهو تمييز ما هو اجتماعي في اللّغة وفق نظام عام عمّا هو ذاتي, غير مقيّد بقواعد مشتركة.
- العلامة لا تحمل أي معنى مستقل في ذاتها, اي يجب ان تكون ضمن نظام وبالتّالي فهي تستمدّ معناها من النظام العام ومن الوحدات العلامات المجاورة الأخرى في نفس السّياق.

وقد أسهم كذلك الشّكلانيون الرّوس في رسم معالم الفكر البنيوي من الناحية التطبيقية خاصة, حيث كان اهتمامهم منصبّا حول دراسة بنية النّص الأدبي الشعبي (الأساطير)[6]

كذلك لا نغفل ذكر المدارس الأخرى التي عنيت بدراسة اللغة اللسانيات بشكل خاص مثل مدرسة براغ الوظيفية في مجال الدرس الصوتي والمظاهر التي تتجلى بها اللغة, كذلك نذكر المدرسة النّسقية ونظرية الغلوسماتيك ومبادئها المتمثّلة في مبدا التّجريبية ومبدا الإحكام والملائمة, ثم أتت المدرسة التّوزيعية التي اتت كذلك بعديد الابحاث والدّراسات في هذا النّطاق اللغوي اللساني, إضافة إلى اللّسانيات التوليدية التحويلية واللسانيات الوظيفية أو النّحو الوظيفي.

كذلك من بين المباحث الأساسية التي عنيت بها اللّسانيات أو الدّراسات اللّغوية نجد لسانيات النص, وهي التي تتعلق بدراسة النصوص من حيث اتساقها وانسجامها باعتبار آلياتها اللغوية والدلالية

المساهمة في عملية التّأويل للنصوص, وهي تهتم خصوصا بالنص وتهتم كذلك بتحليل الخطاب المتكامل دون الانحياز إلى الجملة فقط, بمعنى انها لا تعزل الجملة عن النص بل تدرس النص كمجموعة جمل مترابطة من حيث الشكل والمضمون, بمعنى الانتقال من الجملة إلى النّص[7]

تدرس لسانيات النص مجموعة من القضايا التي لها علاقة وثيقة ببناء النص، مثل:الرّبط، والاتساق، والانسجام، والإحالة، والنسيج النصي، ، والرّوابط التركيبية والدّلالية والاحالية والزّمانية، والوحدة الموضوعية والعضوية، والتّناص، والاتصال النّصي، والسياق النصي, وتبيان وظائف النّصوص في إطار نظامها التّواصلي، بالتركيز على الاتساق، والانسجام، والقصدية، والإبلاغ، والتّناص، والمقبولية والسّياق.[8]

كذلك من بين المباحث الأساسية في اللّسانيات وعلم اللغة الحديث نجد اللّسانيات التّداولية, وقد انبثقت تحديدا جرّاء التّطور الحاصل في مجال الدّراسات اللّغوية وبخاصّة ما تعلّق بالدّلالة والتركيب والسّياق والتّواصل, فالتّداولية على العموم تختص بدراسة اللغو في الاستعمال, وقد تطرّق لها مسعود صحراوي بالتّعريف قائلاً :" هو مذهب لساني يدرس علاقة النّشاط اللغوي بمستعمليه, وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسّياقات والطّبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة, والبحث عن أسباب الفشل في التّواصل باللّغات الطبيعية...[9]

إذن فالتّداولية تهتم باستعمال اللّغة وأقطاب العملية التّواصلية المرسل والمرسل إليه والرّسالة والسّياق بأنواعه المختلفة, اجتماعي, ديني, تاريخي ...الخوالإحالات:أنّ التّداولية تعنى بسياق التواصل، فهذا لا يعني أنّها تتجاوز المسائل الجزئية في بناء النّصوص، بل تنطلق من الخصائص الشكلية لعناصر التركيب كالأفعال الكلامية، والحجاج، والحذف، والتّوكيد، والتّكرار والقصر، ثم تبين وظائفها التّداولية اعتمادا على المنهج التّداولي في الدّراسة, ويعدّ المنهج التّداولي من أفضل المناهج لتحليل ودراسة الخطابات الأدبية عامة والخطابات الحجاجية خاصّة, لأنه يتعلّق بملابسات وما يحيط بعملية التّواصل تلك.

3. أزمة اللّسانيات العربية وأبعادها التاريخية :

إنّ الواقع الرّاهن للّسانيات العربية أثار أسئلة كثيرة عن الأسباب الكامنة وراءه, في زمن أصبحت فيه اللّسانيات رائدة العلوم الانسانية, وإليها يستند دور قيادتها, وهذا ما قاد مجموعة من الباحثين لسانيين وغير لسانيين إلى القول بوجود أزمة في البحث اللساني العربي وتتمثل هذه الأزمة في مجالاته النّظرية, حيث تتضح هذه الأزمة اللغوية على عدّة أصعدة إجرائية ومنهجية, وعدّة مشاركين من طلاّب وأساتذة وباحثين كذلك[10]

إنّ الباحث في تاريخ أزمة الدّراسات اللّغوية العربية والبحث اللساني العربي يجد أنّ

المشكل عميق جدًّا بمقابل ما نجده في التّراث اللغوي العربي من إنجازات وتأصيلات كان لها بالغ الأثر والأهمية في النهوض باللسانيات الحديثة ووصولها إلى مراحل متقدمة من التطور والازدهار العلمي الملاحظ حاليا عند الغرب.

بالرّجوع إلى دراسات "عبد السلام المسدي" نرى أنه يقول بان سبب أزمة الدرس اللساني العربي تعود اساسا إلى الكم الهائل وغزارة الإنتاج اللساني العربي, حيث أن العرب تركوا إرثا علميا لغويا هائلا مكتمل الجمع والتّحليل والتّمحيص[11]

من الاسباب الجوهرية للأزمة كذلك نجد أنّ الدارسين العرب رفضوا الاهتمام بهذا العلم الجديد وادعو عدم أهميته بادئ الأمر" فأغلبهم يرفض النظر في هذا العلم الجديد أو يحاول تفهّمه, أو يعجب أن في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد في البلاد العربيّة"[12]

ليس غريباً أن يُقابل الجديد بالرفض, بل لعلّ هذا الأمر من سُنن البشر في تقبّل كلّ ما هو جديد، لكن من سنن البشر أيضاً أنّ الرفض كالمرض يشفى مع مرور الوقت بالاقتناع، فما كان غريباً لجدّته أصبح مألوفاً لاقتناع الناس به ولشيوعه بينهم وظهور فوائده، لكن الأمر في طرح اللسانيات في العالم العربي بعمومه دخل في مأزق تطاول مدة الاقتناع؛ لأن اللسانيات عندما طرحها الباحثون الجُدد منذ خمسينات القرن العشرين طرحوها كمولود غير مكتمل النمو لوجود مرضين عُضالين في ذلك الطرح، أولهما يتمثل بالتغريب الفكري في مقابل مجتمع متمسك إلى حدّ كبير بموروث فكريّ حضاري مسلم وعربيّ، وهي بهذا المرض كالفكر المعادي إذ طُرحت كمحصول فكريّ نضج في أوروبا في ظل مجتمع متعدّد الرؤى والاتجاهات.

التطوّرات التي جرت على الدّرس اللّساني في أوربا, وتواصل وفود الطّلبة العرب على الجامعات الأوربية والأمريكية, فمن هذا المنطلق بدأت تظهر علاقة بين من المناهج اللسانية الغربية والبحث اللساني العربي, ويتجلّى ذلك خصوصا من خلال ما قدّمه أعلام الدّراسات اللسانية العربية في المشرق والمغرب أمثال : أحمد المتوكل, تمّام حسان, علد القادر الفاسي الفهري, محمود السّعران, كمال بشر, رمضان عبد التّواب, سعد مصلوح, عبد القادر المهيري, مازن الوعر, مشال زكريا, عبد الرّحمن حاج صالح وغيرهم ممّن قدموا تجارب رائدة و أبحاث مهمة رصينة في حقل الدّراسات اللّغوية العربيّة[13]

4. اللّسانيات العربية وصراع الأصالة والمعاصرة :

ممّا لا شكّ فيه في أنّ الأسباب التي دعت إلى نشأة النّحو العربيّ تاريخيّا سببها الجوهري محاولة التصدّي لظاهرة اللّحن، وتقويم اللّسان والعمل على تأويل وفهم النّص القرآني وتأويله. إلاّ أنّ الانتقالية الحقيقيّة التي جاءت مع الخليل وسيبويه ومع من جاء من بعدهما تؤكد بأنّ الصّبغة التقعيديّة التعليميّة للنحو ليست هي الطاغية على هذا النحو، وإنّما أمرها متداخل مع البعد التنظيريّ للمسائل النحوية والصرفيّة والصوتيّة. وذلك ممّا جعل النحو العربيّ في عزّ نضجه يمثل نظريّة

لسانيّة قائمة بذاتها، تضاهي دون ادّعاء الكثير من النظريّات اللّسانية الحديثة، وذلك بالنظر إلى كلّيّتها وتكاملها, مع الاختلاف الزماني والمكاني.

ولا تكتفي النظريّة النحويّة العربية بضبط مجالها المعرفيّ، وإنّما هي تسعى إلى إرساء جهازها المفاهيميّ والاصطلاحيّ، والعمل على وضع التعريفات أو الحدود والرسوم اللّازمة. وتعتبر المفاهيم، والحالة هذه، المقوّم الأساسيّ للنظريّة لأنّها هي التي يقوم عليها التحليل والدرس اللّساني عموما. وهذه المفاهيم تستمدّ مصطلحاتها من اللّغة ليغدو المصطلح وضعا على وضع، أو مفتاحا من مفاتيح أهل الصناعة[14]

" تحدد بدايات انتقال الفكر اللّغوي العربي إلى ميدان التفكير اللغوي العربي ببداية الاتصال الفعلي بالحضارة الغربية في العصر الحديث"[15]

بمعنى أنّ اللسانيات العربية الحديثة كانت نتاج الاحتكاك بالغرب وتبني دراساتهم والإفادة منها وترجمتها, حيث لم تعرف مصطلح اللسانيات بمفهومه الجديد إلا في أواسط السّتينات.

وتحدد فترة نشأة اللسانيات العربية بصدور أوّل كتاب تبّنى المناهج اللسانية الغربية لصاحبه " ابراهيم أنيس" والموسوم ب"الأصوات اللّغوية", بحث يعدّ أّل كتاب عربي حاول تطبيق النظرية الغربية, ويرى عبد السلام المسدي في هذا السّياق أنّ كتاب " في اللّهجات العربية" هو أوّل كتاب أصدره ابراهيم أنيس, يعني أنه يأتي قبل كتاب الأصوات اللغوية[16]

كان تخوّف اللسانيين العرب ينبع أساسا من كيفية تقبّل هذه الأفكار الجديدة التي أتو بها من العالم الغربي إلى العالم العربي الي كان محصورا في قضايا النحو العربي.

لقد شكّل القرن التاسع عشر منعرجا حاسما في تكوين واخراج الفكر اللساني العربي الحديث" إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعاً, وضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التّطور الحاصل في الغرب الذي صدم العرب للمرة الأولى مع الحادث الاستعماري"[17]

تجمع اللسانيات العربية بين التّراث اللغوي العربي واتجاهات البحث اللساني الحديث, حيث يتم الجمع هنا بين القديم والحديث, والحديث من الاشكالات التي تؤرّق

البحث اللّساني العربي شأنه في ذلك شأن البحث اللساني المغاربي والذي تحكمه مواقف متباينة وهي بحسب مصطفى غلفان: "التبني المطلق للنظريات اللسانية الغربية الحديثة, التوفيق بين التراث والنظريات اللسانية الحديثة و كذلك التّشبّث بالتّراث اللغوي القديم جملة وتفصيلا"[18], حيث يرى غلفان من هذا المنطلق أن مشكلات البحث اللساني العربي تنحصر في مشكلتي التراث والاقتران والتبعية للمناهج الغربية الحديثة ولقد أشار مصطفى غلفان في الفصل الأول من كتابه (اللسانيات العربية الحديثة, دراسة نقدية في المصادر والاسس النظرية والمنهجية) إلى تحديد أزمة اللسانيات العربية والذي يرى أنها أزمة أسس, أي في المنطلقات الفكرية والنظرية.

يعرف الدّرس اللّساني المعاصر صراعا حادًّا بين فريقين من الدّارسين, اتجاه يتمسّك بأصالة الدّرس اللّغوي العربي واعتباره المنعرج الحاسم لتبني لسانيات معاصرة حديثة وبالمقابل يرى الاتّجاه الثّاني ان اللّسانيات الحديثة تعتبر وليدة النّقل والترجمة فقط, وهي مشكلة تندرج في إطار ما يسمّى بالأصالة والمعاصرة والحداثة

5. خاتمة:

من التّحديات التي تنتظر اللّسانيات العربية في الأفق المستقبلي, أنّه يجب على روّادها وباحثيها التّوجّه نحو تغيير استراتيجيات العمل اللّساني العربي والعمل على إنهاء مشكل السّعي وراء الدّراسات الغربية واستغلالها وهضمها كما هي دون نقد أو تمحيص, وبالمقابل كذلك محاولة استثمار التّراث العربي الزّاخر بكم لا يستهان به من الدّراسات الممهّدة لظهور هذا العلم الذي أُسندت رواسيه مباشرة للجانب الغربي, فحصاد سنين من العمل والجهد للغوبينا العرب لا يجب أن تذهب أدراج الرياح بالانسياق وراء كل ما هو غربي دون الرجوع للأصل ولدراساتنا اللغوية العربية التي كانت رائدة أيّما ريادة في عصر مزدهر مضى.

فطريق تجاوز سلبيات الواقع اللّساني العربي مرهون بالعودة للأصل والبحث في تراثنا النّحوي واللّغوي, والاتجاه نحو انجاز المعاجم والأطالس اللّسانية العربية والتأريخ للظواهر اللغوية العربية وتتبع مسار ريادتها وتطورها زمانا ومكانا من طرف مختصين في هذا الشأن بدراسات جادّة وممحّصة, إضافة إلى العناية بالمصطلح اللساني العربي وضبطه وتوحيده وتعميمه ليصبح ذا صبغة علمية عالمية, حيث أنّ اللّغويين العرب سبقوا العالم اللّغوي الأمريكي "نعوم تشو مسكي" بقرون فيما يخص النّظر إلى النحو على أنّه العلّة التي تحكم ترابط الأشياء وتماسكها تماسكا محكم التنظيم والهيكلة باعتبار أنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها على حدّ قول الفراهيدي, كذلك نرى أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي سبق "اللّسانيات الادراكية" الحديثة بقرون في محاولاتها للإجابة على تساؤلها المتمثل في كيفية عمل الدماغ البشري باللغة العربية إدراكا وتوليدا, ولكي نخرج من هذه الأزمة التي يتناسى بعض الدارسين وجودها ينبغي أن نأخذ بمقتضيات التخطيط اللغوي السليم، وأن نقبل بتعدد وجهات النظر في الوسائل لا في المنطلقات، وهذا يعني ضرورة الوصول إلى فكرة المجمع العربي الموحّد للغة العربيّة بحيث تصبح سائر المجامع اللغويّة فروعاً تنفيذية له، لكي يتولى هذا المجمعُ الموحد التخطيطَ لتحديث الفكر اللسانيّ العربيّ، ولكي لا تنعكس الأوضاع السياسية والاقتصادية على اللغة الموحّدة التي تجمع بيننا من مختلف الأصول والمنابت، فالمشكلة اللغوية امتداد للمشكلة السياسية، ولا تحلّ إلا بالتنسيق المنطلق من أنّ اللغة ملك لجميع الناطقين بها، وليست ملكاً لدولة واحدة من الدولة الناطقة بها, وفي ظل غياب المجمع الموحد تغيب الرؤية الموحدة للسانيات وتتكرر المحاولات الفردية، وتضيع الجهود، وتهدر الطاقات العلميّة المتميزة حتى تصل إلى حدّ التعصب الأعمى لجهد شخص ما ليس لشيء إلا لأنه من أبناء بلده، وكفى بهذا دليلاً على تخلف اللسانيات في ثقافتنا، فهي لم تصنع لنفسها الهوية المميزة لها حتى الآن، ولم تتوسع إلى خارج الحدود اللغوية إلا قليلاً في ميادين علم الاجتماع وعلم النفس مع أنها توسعت في أوروبا وأمريكا حتى صارت مكوناً أساسياً من مكونات كثير من علوم العصر الحديث.

6. هوامش وإحالات:

[1] - عيسى برهومة, مقدمة في اللسانيات, قسم اللّغة العربيّة, الجامعة الهاشمية, 2005, ص 67.
[2] - مرتضى جواد باقر, مقدّمة في نظرية القواعد التّوليديّة, دار الشّروق للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ط1, 2002, ص18.
[3] - مصطفى غنفسه,في اللسانيات العامة- تاريخها, طبيعتها, موضوعها, مفاهيمها, دار الكتاب الجديدة المتحدة, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى, 2010,ص95.
[4] - المرجع نفسه , ص 97.
[5] - خليفة بوجادي, في اللسانيات التّداولية- محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم, بيت الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر, الطبعة الثانية, 2012, ص 14.
[6] - المرجع نفسه, ص 17.
[7] - عبد الفتّاح كليطو, الأدب والغرابة, دار الطّليعة, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى, 1982, ص 10.
[8] - جميل حمداوي, محاضرات في لسانيات النّص, دار الألوكة, المغرب, الطبعة الأولى, 2015, ص 61.
[9] - مسعود صحراوي, التّداولية عند علماء العرب, دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي. دار الطّليعة, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى, 2005, ص 15.
[10] - علوي حافيظ إسماعيلي, نحن واللسانيات: مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية, مجلة الكلمة- منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث- لبنان, العدد 55, سنة2008, ص 14.
[11] - عبد السلام المسدي, اللسانيات وأسسها المعرفية, الدّار التونسية للنشر, المؤسسة الوطنية للكتاب, تونس, الجزائر,1989, ص 12.
[12] - حافظ اسماعيلي علوي, اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة, دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته, دار الكتاب الجديد المتحدة, الطبعة الأولى, 2009, ص 51.
[13] - عبد الحليم معزوز, تأصيل اللسانيات العربية عند تمّام حسّان وعبد الرحمن الحاج صالح, دراسة ابستيمولوجية في المرجعية والمنهج, أطروحة دكتوراه علوم, تخصص: علوم اللسان, جامعة باتنة, سنة ,2017 ص 74
[14] - عبد الحميد عبد الواحد, بين النّحو العربي واللسانيات الحديثة, مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية, العدد الرّابع, صفاقس, تونس, ص 09.
[15] - بكوش فاطمة الهاشمي, نشأة الدّرس اللساني العربي الحديث, دراسة في النّشاط اللساني العربي, ايتراك للنشر والتوزيع, الطّبعة الأولى, 2004, ص 12.
[16] - عبد السلام المسدي, مراجع اللّسانيات, الدار العربية للكتاب, الجزائر, 1989, ص 22.
[17] - بكوش فاطمة الهاشمي, نشأة الدّرس اللساني العربي الحديث , ص 14.
[18] - مصطفى غلفان, اللسانيات العربية الحديثة, دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية, جامعة الحسن الثاني, كلية الآداب والعلوم اللسانية, سلسلة رسائل وأطروحات, عدد4, ص53.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1. عيسى برهومة, مقدمة في اللسانيات, قسم اللّغة العربيّة, الجامعة الهاشمية, 2005.
2. مرتضى جواد باقر, مقدّمة في نظرية القواعد التّوليديّة, دار الشّروق للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ط1, 2002.
3. مصطفى غنفسه,في اللسانيات العامة- تاريخها, طبيعتها, موضوعها, مفاهيمها, دار الكتاب الجديدة المتحدة, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى, 2010.
4. خليفة بوجادي, في اللسانيات التّداولية- محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم, بيت الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر, الطبعة الثانية, 2012.
5. عبد الفتّاح كليطو, الأدب والغرابة, دار الطّليعة, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى, 1982.
6. جميل حمداوي, محاضرات في لسانيات النّص, دار الألوكة, المغرب, الطبعة الأولى, 2015.

7. مسعود صحراوي, التّداولية عند علماء العرب, دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي. دار الطّليعة, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى, 2005.
8. علوي حافيظ إسماعيلي, نحن واللسانيات: مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية, مجلة الكلمة- منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث- لبنان, العدد 55, سنة2008.
9. عبد السلام المسدي, اللسانيات وأسسها المعرفية, الدّار التونسية للنشر, المؤسسة الوطنية للكتاب, تونس, الجزائر,1989.
10. حافظ اسماعيلي علوي, اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة, دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته, دار الكتاب الجديد المتحدة, الطبعة الأولى, 2009.
11. عبد الحليم معزوز, تأصيل اللسانيات العربية عند تمّام حسّان وعبد الرحمن الحاج صالح, دراسة ابستيمولوجية في المرجعية والمنهج, أطروحة دكتوراه علوم, تخصص: علوم اللسان, جامعة باتنة, سنة 2017,
12. عبد الحميد عبد الواحد, بين النّحو العربي واللسانيات الحديثة, مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية, العدد الرّابع, صفاقس, تونس.
13. بكوش فاطمة الهاشمي, نشأة الدّرس اللساني العربي الحديث, دراسة في النّشاط اللساني العربي, ايتراك للنشر والتوزيع, الطّبعة الأولى, 2004.
14. عبد السلام المسدي, مراجع اللّسانيات, الدار العربية للكتاب, الجزائر, 1989.
15. مصطفى غلفان, اللسانيات العربية الحديثة, دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية, جامعة الحسن الثاني, كلية الآداب والعلوم اللسانية, سلسلة رسائل وأطروحات, عدد4.